Journal of Alasmarya University
Volume 9, June 2008

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد التاسع، يونيو 2008

ملامح من التكوين الثقافي والاجتماعي للسواحلية في شرق أفريقيا

د. عبد الله جاسم الدراجي*

كثيراً ما يطرح الخلاف المتعلق بطبيعة الحضارة السواحلية (بطريقة غير دقيقة من وجهة نظري)، بصيغة خيارين: هل هي حضارة أفريقية أو عربية؟ وقد تمخض عن ذلك ظهور مؤلفات علمية وعامة هائلة، في حين ركّزت المؤلفات التاريخية الأوربية المدفوعة بالأيدلوجية العنصرية الاستعمارية في السنين الماضية على تقليل التأثير الحضاري العربي على الساحل الشرقي الأفريقي وتشويهه. أما حالياً فالنتائج المستخلصة من البحوث الحديثة أكثر اتزانا وموضوعية، فقد تم تجميع مواد ذات أدلة كافية (في علم اللغات والآثار والتاريخ) تعين على استجلاء عملية تشكل البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية واللغوية للساحل المذكور.

إن نقطتنا الرئيسة هنا تتلخص في أن السواحيليين (بمعنى الانتماء إلى الساحل أو الشاطىء)[1] هم قبل كل شيء جماعات هجينة أفريقية. ولدوا وتوالدوا على الساحل والجزر من شرق أفريقيا. بيد أن توطنهم على الساحل وإسهامهم في النشاط التجاري للمحيط الهندي جعل لهم تاريخاً طويلاً من التمازج والتفاعل العرقي والثقافي مع القادمين إلى الساحل من خارج أفريقيا وداخلها.

---

* جامعة المرقب.

1- وردت الإشارة إلى مصطلح (سواحلية) من قبل ابن بطوطة في معرض كلامه عن شرق أفريقيا حيث يقول: « ثم ركبت البحر من مدينة مقديشو متوجها إلى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوا من بلاد الزنج » الرحلة بيروت 1964، ص 171.

وبالـرغم مـن أن العنصر الأفريقي (الزنجي) هو المهيمن عرقيا على الجماعات السـواحلية ؛ فـإن العنصـر المهيمن في الثقافة السواحلية كان عنصرا خارجيا، ولا يوجد شـك في تفـوق العنصـر الحضاري العربي على غيره من العناصر الخارجية الداخلة في المكـونات الرئيسـة لمجـتمع السـواحليين وحضـارتهم إلى يومنا هذا ؛ فالعرب ولزمن طويل، باشروا التجارة على طول الساحل الشرقي الأفريقي، حيث أقام العديد منهم.

وبالـرغم مـن أن أعـدادهم كانـت قلـيلة فـإنهم أدوا أدوارا مسـيطرة في الحـياة الاقتصـادية والثقافـية وأصـبحوا فـئة حاكمـة في الأماكن التي استقروا فيها على الساحل والجزر المقابلة. وعليه كان للعرب تأثير كبير في نشأة ثقافة الساحل وتطورها[2].

علـى أن امتـزاج العـرقين العربـي والأفريقـي جعل التأثير في الاتجاهين، كانت النتـيجة تلاحمـا ديناميكـياً للأفكـار العـربية والأفـريقية، ضـمن مفهـوم ثقافي وتاريخي أفريقي، والمحصلة لم تكن ثقافة عربية أو أفريقية، بل سواحلية، وهي الثقافة التي بدأت تحـوز علـى أصـولها مـع بـدايات العلاقـات الحقيقـية -بعد الإسلام- بين ساحل الزنج (البانـتو Banto) والعـالم العربـي الإسـلامي في القـرنين 3، 4 هــ / 9، 10 م[3]. وهي بصـفتها ظاهـرة أو مـركباً حضـارياً مـتكاملاً اقتصاديا وسياسيا قد بلغت أوج ازدهارها المـادي والمعـنوي في القـرنين 8-9 هــ /14-15 م، حـيث بدت مدن الساحل الشرقي الأفريقي مثل مقاديشو وكلوا ومالندي وشانغا وممباسه وباته، تعج بمجتمعاتها الإسلامية وتزدهر بمساجدها ومنازلها المشيدة بفن معماري إسلامي جميل.

2- قارن D.Nurse andT.spear ,the Swahili Reconstrueting the History and Language of an African Society , 800-1500 , University of Pennsy lvania Philadelphia (-) , p.vill.

3- إن تحديـد البدايات الحقيقـية لـتلك العلاقـات بالقرنين 3، 4 هـ / 9، 10 م قد أصبحت الآن مؤكدة بتـيقن كـبير علـى أسـاس أن الشـواهد الأثـرية الدالـة علـى قيام ماندا Manda كأول وأقدم مستوطنة إسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا تعود بتاريخ هذه المدينة إلى القرن 3 هـ / 9 م. انظر:
N. , Chittick ," Report on excavations at Manda " , Nyame Akuma(14) , 1979 , p. 20-23 ,
وكـذلك علـى مـا ذكره المسعودي في القرن 4 هـ /10 م عن جزيرة « قنبالو » التي كانت تضم سكانا مختلطين من المسلمين والكفار الزنوج، المسعودي، مروج الذهب، ط 4. القاهرة 1964 ج 2، ص 17 ؛ في حـين نجـد المـدونات المحلـية (الحوليات) تعود بتاريخ تلك العلاقات إلى فترات أقدم مـن ذلـك إلى القـرن 1 هـ /7م ولكن لا توجد أدلة أثرية تؤكد ما جاء في الحوليات وهي مدونات متأخرة وجدت على الساحل باستثناء حولية كلوا التي كتبت في القرن السادس عشر الميلادي.

لقد ارتبطت الحضارة السواحلية بالمدينة، إذ كانت من نتائج المدن والقصبات على امتداد الساحل، وفي اللغة السواحلية يعبر عن الثقافة بلفظ « أوتامادوني utamaduni »[4] وهي لفظ مشتق من الجذر العربي لكلمة (مدينة) وهي هنا المدينة الحجرية.

إن شعور سكان المدينة بالتميز عن السكان القرويين كان قويا جدا ومن ثم نلاحظ أن الانقسام الاجتماعي الرئيس للسواحيليين كان يدور على محورين: المدينة والريف[5]. أي السكان القاطنون في البيوت الحجرية ويسمون « وا – انجوانه – Wa aungwana »، والفقراء سكان بيوت اللبن المسقفة بأوراق الموز والطين، ويطلق عليها اسم « وا – شينزي Wa – shenzi ».

وكانت مكانة الوا – انجوانه في حياة مدن الساحل الشرقي الأفريقي تشكل جانبا مهما في تاريخ الحضارة السواحيلية، فقد كانوا الفئة الأكثر نشاطا في المدينة لكونهم تجارا وحرفيين (صاغة وبنائين ونقاشين مهرة)؛ وكانت العائلات المهمة من الوا – انجوانه تتمتع بنفوذ كبير في الحياة الدينية والثقافية والسياسية لمدن الساحل.

ولا تقوم أهمية تلك العوائل على أساس الثروة فحسب ؛ بل بسبب الوجاهة المتأتية من حقيقة قدم توطنها في القسم الأقدم (المركز) من المدينة، والمتأتية أيضا من الأصل العربي ؛ فقد كانت تلك العوائل تحرص على تتبع قوائم النسب (Nisba بالسواحلي) وهو مقتبس من نموذج عربي.

وبناء على اعتقادها في أصل أسلافها، حاولت العوائل المذكورة العودة بأقدم تواريخها إلى فترات مجيء أسلافها من العالم العربي إلى الشرق الأفريقي، في حين ادعى كثير من علماء الدين والمعلمين والقضاة الانتساب إلى البيت النبوي، لما كان ينالهم من شرف المحتد، وجلال المنزلة بين الناس، ونستنتج من هذا أن الأصل العربي كان واحدا من العناصر المهمة لتحديد المنزلة المهمة، وللبرهنة على عراقة العوائل والطوائف وقدم ارتباطها بالساحل وبالمجتمع السواحلي.

---

4 - N.Sheriff, " wa – Swahili & their language " Kiswahili , 1973,vol , 43 , p 70

5- في معلوماتنا عن مظاهر التركيب الاجتماعي للسواحلين رجعنا إلى:

AH.J.Prins , the Swahili – speaking Poples of Zanzibar and the East African Coast ,Londan 1967 , A. P. Caplan , choice and canstraint in a Swahili community , Londan 1975, R.L.Powels , islam and IslamicLeadership in theCoastal Communities of Eastern Atrica , 1900 – 1914.Los angeles , 1979

وبصورة عامة، كان سكان المدينة يعتبرون أنفسهم متحضرين لكونهم مسلمين، وقد تبنوا ما حمله العرب معهم من وسائل العيش وطرق الحياة، وأطلق عليهم (وا – انجوانه) سمةً للتحضر، ولهذا المفهوم أيضا دلالة أخرى أخلاقية، فهو يرمز إلى النزاهة وبخاصة في الأمور المالية والتجارية، وهذه الصفة ينبغي أن يتحلى بها سكان المدينة كافة. فيما كان لفظ وا – شينزي ينطوي على معنى ازدرائي، إذ كان يشير إلى عدم النزاهة، وبشكل عام، إلى نقص الثقافة المدنية، وقد أطلق على سكان الريف والعبيد السود، تلميحا للمكانة الاجتماعية المتدنية لهم.

ومن ثم نلاحظ أن الانقسام الاجتماعي للسواحليين كان يقوم على أساس سياسي واقتصادي (الملكية والمهن) وحسب، وما عدا ذلك كان السكان من الريف والمدينة يتكلمون اللغة السواحلية ويحيون معا وفقا للتقاليد والأعراف السواحلية ويؤدون معا الشعائر والطقوس الإسلامية.

إن ارتباط الحضارة السواحلية بالمدينة واقترانها بالإسلام واحتواءها على عناصر دالة على أصول ثقافية أجنبية، علاوة على ادعاءات السواحليين أنفسهم بالانحدار من أصول آسيوية، وتركيزهم على الاختلافات الثقافية بينهم وبين جيرانهم الأفريقيين، أقول: إن كل هذه العوامل قد قادت لزمن طويل العديد من المؤرخين إلى وصف الحضارة السواحلية، بوصفها ظاهرة غريبة منفصلة عن بيئتها الأفريقية، بيد أن الدراسات الحديثة أخذت تلفت الانتباه إلى دور العنصر الأفريقي الذي تم تجاهله سابقا ؛ فعلى الرغم من أن المظهر العربي للحضارة السواحلية كان بارزا بوضوح خلال الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر ميلادي ؛ فإن التأثير الأفريقي في اللغة وأساسيات الحياة اليومية للجماعات السواحلية كان أكبر[6].

ومن جهة أخرى، كانت العمارة القائمة على امتداد الساحل، وحسبما تدل عليه آثاره الشاخصة اليوم، لا تعكس أي قدر من التأثير الأفريقي[7]، وكانت العمارة مرتبطة بطرز معمارية تنتسب إلى أكثر من قطر عربي في العصرين الأموي والعباسي[8]. ومع

6- انظر: D.nurs & T. Spearop.cit. p5.

7 -P.S.Garlake,the Earli Islamic Architecture of East African Coast , Nairobi1966 , P.2

8 -chittick , " kilwa & the Arab Settlements on the East African Coast," Journol of African History

ذلك علينا أن ندرك أن كل المدن الساحلية كانت من إنشاء العرب والأفارقة، وهما العنصران اللذان باختلاطهما عرقيا وثقافيا، أنتجا الثقافة واللغة السواحلية.

وطبقا لما يميل إليه المؤرخون الأفارقة فإن نمو التجارة العربية مع شرق أفريقيا وما رافق ذلك من استيطان للعرب على ساحل المنطقة، قد أدى إلى تطور تدريجي للحياة المدنية بين السكان السود هناك عبر قرون عديدة[9].

وعلى هذا يمكننا القول إن الثقافة السواحلية كانت ثقافة محلية[10]، ولكن المبادرة في تطورها كانت على الدوام من الخارج، وإن التغاضي عن العنصر الأفريقي، من وجهة نظري، خطأ معادل للتقليل من أهمية التأثير الحضاري العربي في الساحل وفي الجزر في شرق أفريقيا.

المشكلة الشيرازية

بعض الكتاب مثل: بيرس (F.B Pearce) وإنغرامس (W.H .Ingrams) وهولينجسورث (L. W. Holingsworth) يقولون بفكرة وجود حقبة حضارية شيرازية (فارسية) تسبق في مآثرها ما للحضارة العربية من مآثر على الساحل الشرقي الأفريقي، وبأن تلك الحضارة قد أصبحت العنصر أو المكون الرئيسي والجوهري الوحيد لمجتمع الساحل وثقافته في العصور الوسطى، وبأنها كانت منفصلة عن ثقافات الأفريقيين، وهي من وجهة نظرهم، إنجاز حققته وطورته جماعة مهاجرة من شيراز

9- انظر ..B.A. Ogot,East Africa post and prasant ,Paris 1965 , P. 57

10- إن أعمال التنقيب الموسعة لعالم الآثار الدكتور .N.Chttick في موقع كلوا كسواني وكذلك الأعمال الأحدث (1980) لعالم الآثار M. Horton في شانغا Changa كشفت عن مخلفات أركيولوجية خاصة بالفترة من 800-1100 م، تدل على المهارة والمعرفة العلمية المتحققة آنذاك، وعلى الأنشطة الاقتصادية والإنتاجية للجماعات السواحلية، كصناعة الحديد والفخار المحلي الذي كان يصنع بدون عجلة وبدون طلاء مما يشير بوضوح إلى معالم ثقافة سواحلية محلية ذات خصائص أفريقية سبقت في نشوئها بناء المدن الحجرية وأسلمة الساحل التامة؛ وبأن الأطوار التي مرت بها حدثت في منأى عن المؤثرات الخارجية. راجع:

N.Chttick , Kilwa an Islamic City on the African Cost

Nairobi 1974,.M.Horton.,Shanga.1980 , Campridge 1980. جزآن

عاصمة إقليم فارس[11].

إن تبني المؤرخين آنفي الذكر وعدة باحثين غيرهم لهذه الفكرة كان لعدة أمور:
أولاً: ادعاءات بعض العوائل السواحلية المتنفذة في الأصل الشيرازي
ثانياً: بعض الخرائب الشاخصة لمدن الساحل بدت للبعض ذات سمات فارسية
ثالثاً: الأسطورة التي تسوقها حولية كلوا (كتبت في القرن السادس عشر الميلادي)[12] بشأن هجرة الأمراء السبعة أو الستة وأبيهم علي بن الحسن (الحسين) من شيراز إلى شرق أفريقيا حيث أسسوا هناك مدينة كلوا وغيرها من المواقع على القسم الجنوبي من الساحل.

وقد ظلت هذه الفكرة شائعة حتى بروز كير كمان[13] J. Kirkman، وبوصفه أول عالم آثار محترف عمل على الساحل الشرقي الأفريقي يرى بأنه لا يمكن مساندة الفكرة القائلة بوجود حضارة شيرازية فارسية، إلى أن تظهر أدلة على وجود فارسي مؤثر في شرق أفريقيا في العصور الوسطى[14].

على أية حال تعد ملاحظات كير كمان التي استبعد فيها وجودا فارسيا على الساحل الشرقي الأفريقي في القرون الوسطى، بمثابة إهمال تام لاتجاهات بنيت على أسس مشكوك فيها. ومن هنا نلاحظ الاتجاهات المستخلصة من البحوث الحديثة تؤكد على أن دور العنصر الفارسي في الاستيطان على الساحل، إذا لم يكن معدوماً / فهو محدود وقصير الأمد.

---

11 - F.B.Parce, Zanzibar, the Island Metropolis Of East Africa , London 1920 , P. 399 ,W. H. Ingrams , Zanzibar ,its Histoy and ist People , London 1931 ,P. 133-153.L ,W.Hollingsworth,Ashort History of the East Coast of Africa , London 1974. P. 39 – 40

12- النص الكامل لحولية كلوا منشور في كتاب، سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، القاهرة، 1979. ص 35 – 58.

13- بدا جيمس كيركمان أعمال التنقيبات الأثرية على ساحل أفريقيا الشرقية 1948، ولم يسبقه إلى ذلك غيره وإن أغلب أعمال الباحثين حول شرق أفريقيا تعتمد اكتشافات كيركمان ومن أعماله المهمة تجدر الإشارة إلى:

1. the Arab City of Gadi , London 1964
2. Man and Monumants of the East Africa Coast , London 1964

14 - J.Kirkman in G.Strandas , Portuguasa Pariod in East African , notas by J.Kirkman. Nairobi 1960 ,P. 391-392

لا شك في أن شيراز عاصمة إقليم فارس خلال الفترة من 3-4 هـ /9-10 م قد لعبت دورا مهما في تجارة الشرق الأفريقي من خلال ميناء سيراف على الخليج العربي، بيد أن أغلب السكان في إقليم فارس في تلك الفترة كانوا عربا، إذ اعتاد العرب العبور إلى الجانب الشرقي من الخليج العربي في موجات متتالية، وبعد توطنهم هناك أصبح لهم سلطات عسكرية وإدارية واقتصادية واسعة استمرت حتى القرن 4هـ /10 م[15]، وعليه فمن المؤكد أن السفن والملاحين والتجار المتعاملين مع شرق أفريقيا كانوا عرباً[16]. بالإضافة إلى ذلك كان مركز تجارة المحيط الهندي خلال القرن 5 هـ /11 م قد تحول إلى جنوب الجزيرة العربية (عمان وحضر موت) والبحر الأحمر، وبحلول القرن 6 هـ /12 م عندما كانت المساجد والمباني المشيدة بالحجر تظهر على طول الساحل الشرقي الأفريقي، لم تعد شيراز مهمة في تجارة شرق أفريقيا[17]. وعليه فمن غير المحتمل أن يكون شيرازيو الشرق الأفريقي The East African Shirazes الذين يعزى لهم تأسيس سلطنة كلوا، جاؤا من فارس. ويتأكد هذا بندرة الكلمات الفارسية المستعارة في اللغة السواحلية[18] « وهي كلمات من الجائز أنها وصلت إلى الساحل عن طريق العرب »[19]، وبالافتقار العام للنقوش الفارسية في المساجد والقبور والأضرحة على طول الساحل[20].

صحيح أن بعض الشواهد المكتوبة موجودة الآن في مقاديشو على شكل نقشين

15- انظر. عبد الرحمن عبد الكريم العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية، بغداد 1977، ص 95-106. يحاول المؤلف بموضوعية هادئة البرهنة على عروبة الخليج، وذلك من خلال الاستعانة بمصادر عربية عديدة يؤيد ما جاء فيها الوجود العربي على الساحل الشرقي من الخليج العربي منذ فترات بعيدة قبل الإسلام وبعده. وكذلك انظر N.Chittick," The peopling of the Oriant " , (ed) by N.Chittick and R. Rotbbarg,New york 1975 P. 16 – 43

16 - D. Nursa and T. Spear , op. sit. 74

17 - T. M. Ricks , " Parsian Gulf Seafaring and East Africa , ninth – twelfth santurias"., African Historical Studies , 3,1970 , P. 339-357.

18 - D. Nurse and E. Sbear ,op.cit , P. 74

19- انظر: B. Krumm, Words of Oriantal in Swahili, London 1940 ,in D.Nurse and T.Spear ,op.cit 74

20- انظر: J.C.Wilkinson ,"Oman and East Africa: New Light on Early Kelwen History From the Omany Sourccs.", African Historical Stadies , 14 ,1981 ,P. 272 – 305

يعود تاريخهما إلى بداية ووسط القرن الثالث عشر الميلادي[21]، يذكران أسماء فارسية، وهـذا يؤيد كون بعض القادمين من منطقة الخليج العربي كانوا فرسا، ولكن من المسلم بـه حالـيا، أن هـذه الـنقوش في مجملها لا تزيد عن مثيلاتها، وهي ثلاثة عشر نقشا من المدينة نفسها، تذكر أسماء عربية مثل القحطاني والحضرمي والخزرجي، وأخرى تشير إلى قدوم أصحابها من الحجاز والمدينة[22].

وفـيما تخلـو المعلـومات الخاصـة بتاريخ مقاديشو من ذكر أي دور لمستوطنين فـرس، نرى أن الجانب الأكبر من تلك المعلومات يزخر بالإشارات إلى دور العرب في تـاريخ هـذه المدينـة وتطـورها؛ فممـا ذكـره ياقوت (ت. 626 هـ /1228 م) ندرك بأن مقاديشو في زمانه كانت مدينة متطورة محكومة من قبل مجلس للمشايخ (المسنين) [23]. ولم يلمـح (أي ياقـوت) لا مـن بعيد ولا من قريب لوجود فارسي من شيراز أم سواها. ويبدو أن مقاديشو قد تطورت على يد مهاجرين من بني مجيد قدموا إليها –حسبما يذكر ابـن المجـاور (ت 690 هـ /1291 م)– بعد طردهم من منطقة المنذرية في اليمن[24]. ومن الممكـن القـول بـأن تطـور مقاديشـو قـد تم بمعونة تجار انتقلوا إليها بعد تدمير مينائي «أبـين وهرم»[25] في اليمن وكان سكان مقاديشو يتكونون من اتحاد فدرالي يتألف من خمـس قـبائل كـان مـن بيـنها قبـيلة القحطاني التي احتكرت الزعامة الدينية والوظائف القضائية[26]. ومن وصف له يذكر المؤرخ البرتغالي دوارت باربوسا Duert Barbos؛ بـأن سـكان مقاديشـو كانـوا يـتكلمون العـربية إلـي جانـب الصـومالية[27] (واحـدة من اللهجات السواحلية)، وربما كان استخدام العربية لغرض التعامل التجاري فقط.

إن قـيام كلـوا بوصـفها سلطنة إسلامية مرتبط بقدوم الشيرازيين، ولكن من وجهة

---

21 - E.Ceruili,''Inscrizion e decumenti Arabi Perla Storia della Somalia'',Somalia ,1,Seratti vari Aditi ed Inediti , Roma 1957 , P 2,9.;G.S.P.Freman-Grenville and P.G. Martin " Apreliminary handlist of Arabic Dscriptions of the eastern African Coast." Journal of the Royal Asiatic Society , 2 , 1973 ,P. 102 , 103

22 - A.Caruili, op.sit.p 2-10.

23- ياقوت، معجم البلدان، لايبزك 1968، ج1، ص 205، ج4، ص 117.

24- ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ليدن1951، ق 1، ص 183.

25- المصدر نفسه، ص 117.

26- انظر: N. Chittik," Mediaevel Mogadishu" ,Paideuma 28 , 1982 , P. 52

27 - L. Dames , the book of Duart ,Barbosa , London 1949, P. 31

النظـر الحديـثة لم يكـن قـدومهم هجـرة فعلـية لقوم من إقليم فارس؛ وإنما كان حركة لجماعة سواحلية من الصومال أو ساحل بنادر نحو القسم الجنوبي من الساحل الشرقي لأفـريقيا حيث نصبوا أنفسهم هناك حكاما على كلوا و مافيا[28]، وكانت تحدوهم رغبة في السيطرة علـى تجارة الذهب مع سوفالا على ساحل موزنبيق،وقد أصبحت كلوا من أهم مدن الساحل بعد مقاديشو.

وعلـى أسـاس فحصه لشواهد أثرية وبخاصة عملات تعود إلى علي بن الحسن (الحسـين) أول حـاكم من العائلة الشيرازية، أرجع الآثاري جيتبك N.Chittick تاريخ قـيام كلـوا إلى نهايـة القـرن 12 م /6 هـ[29] وليس في القرن العاشر الميلادي كما كان متفقا عليه في أغلب المؤلفات السابقة.

ونلاحـظ طـبقا لحولـية كلـوا، أن دور الشـيرازيين كـان محدودا وقصير الأمد، إذ تختفـي أخـبارهم تمامـا بـزوال حكمهـم في نهايـة القـرن 7 هــ /13 م علـى يد أسرة « المهـدلى »[30] العـربية، ويـرى جيـتك أن الحكـام من الأسرة الجديدة التي قدمت من اليمن، كانوا سببا في ازدهار كلوا[31].

وهكـذا يتـبين لـنا أن المعطيات التاريخية والأثرية المتوفرة لا تؤيد فكرة وجود حقـبة لحضـارة شـيرازية (فارسـية) سبقت المآثر العربية التي خلفوها عبر قرون عديدة علـى السـاحل الشـرقي الأفريقي، وأصبحت من المكونات الرئيسة للتركيب الاجتماعي والـثقافي السـواحلي. ومـع أن بعـض الفرس استقروا في زنجبار في القرن التاسع عشر،

---

28 - N. Chittik , the "Shirezi" Colnization of East Africa , journal of African History , volvl , no , 1 ,2 ,3 , p. 275 – 294

29 - ibid

30- راجـع حولـية كلـوا في المغـيري، ن. م، ص 42. وكانـت عائلـة المهدلـي قـد انتزعت الحكم بعد ثلاثة أجـيال مـن حكـم العائلـة الشيرازية في كلوا الذي امتد من نهاية القرن الثاني عشر إلى نهاية القرن الثالث عشـر ميلادي، والمهدلي هو لقب الحسن بن طالوت المهدلي أول السلاطين من العائلة الجديدة، وجمع المهدلـي المهـاديلا وهـو اسم لأحد بطون عشيرة بني « أهدال » الذين يرجعون بنسبهم إلى بيت النبي ﷺ وكـان جدهم الأعلى هو أحمد بن عيسى وبنو أهدال كانوا يقطنون قرية تدعى « مراوعا » في وادي سهام علـى البحـر الأحمر على بعد أربعين ميلا إلى الشمال من زبيد في اليمن. راجع. محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، القاهرة، 1284 هـ - 1886م، ص 64، 75 - 76.

31 - N. Chittik , Kilwa an Islamic …., vol , 1 , p 239

وأن بعضهم من الجائز قد وصلوا في القرن الثامن عشر؛ لأن هناك شواهد دالة على تأثير فارسي في الثقافة التي كانت سائدة في ذلك الوقت، إلا أن هؤلاء القادمين كانوا متأخرين وليسوا ذوي أهمية على الساحة الاجتماعية والسياسية[32].

على أية حال، فإن المتفق عليه الآن أن مصطلح «شيرازى» أو «وا- شيرازى» هو لفظ مرتبط وهماً بالنسب العريق لجماعة أو طائفة من السواحليين القدامى. وقد يصح من بين التأويلات لتبني أولئك السواحليين لنسب الشيرازى، مايراه الباحثان المتخصصان في التاريخ السواحلي T. Spear وD.Nurse بقولهما: «بما أن الكثير من التجار العرب قد تعاملوا مع شرق أفريقيا، فإن البعض ممن استقر منهم على الساحل قد جاءوا من شيراز»[33].

وقد استخدم مصطلح «شيرازي» بشكل واسع خلال الحكم الاستعماري في شرق أفريقيا في سياقات الحديث الرسمي أكثر منه في الحديث اليومي، وذلك بدلاً من مصطلح «سواحلي»[34]. ويبدو أن التلقب بشيرازي شجعت عليه سلطات الحماية البريطانية في زنجبار وبمبا Pempa تطبيقاً لسياسة «فرق تسد» وبهدف إضعاف العناصر العربية وذلك في أوائل حكم سلطان زنجبار خليفة بن حارب عام 1911 كما يذكر المؤرخ الزنجباري، سعيد بن علي المغيري، حيث «صار بعض الأهالي يتلقبون بالشيرازي (...) وممكن أن يوجد في سجلات الحكومة نفر واحد له، ثلاث قبيلات (قبائل) في الأولى جزري (نسبة إلى الجزيرة الخضراء بمبا) والثانية سواحلي والثالثة شيرازي»[35] ومع ذلك لم يكتسب لقب شيرازي شعبية مثلما كان لكلمة (عربي) [36]. ويعلق واحد من أبرز المتخصصين المحدثين بالتاريخ السواحلي وهو ألن V. de.J . Allen بقوله: «في حين أن أغلب السواحليين يعرفون جيدا من أين هم أصلاً سواء من عدن أو من مكلا أو من مسقط أو من البحرين أو بومباي وغيرها ؛ فإن القليل لديهم

32- قارن,.Azania 9. p. 105 – 138. J.de.v.Allen,'' Swahil Culture raconsideaed''

33 -D. Nurse , and T Spear ,op. cit. p. 75

34 -A. H. J. Prins. op. cit , p. 14

35- المغيري، ن. م. ص 97، ويعلق المؤلف بقوله: «وربما كان الشيرازيون في أفريقيا الشرقية ينتسبون إلى بلدة شيراز التي هي في جنوب بلدة جاسي من أعمال مباسة والله أعلم»، نفس الصفحة

36- انظر: " J. de. V. Allen , " the Shirazi Problam in East Afarican Coastel History. , Paideuma, 28, 1982 , p. 12

فكـرة واضـحة من أين هم الشيرازيون، وهناك العديد من الأهالي الذين يدعون بالأصل الشيرازي يقولون عن شيراز أنها عربوني Arabuni (أي الجزيرة العربية) أو على الأقل يقولون: إنها بالقرب من مكة»[37].

إن الرحالة الإنجليزي بيرتون R.F. Purton، وهو أول غربي كتب عن شيرازي الشـرق الأفريقـي لم يـربط بيـنهم وبـين فـارس، بـل وصـفهم بـأنهم الطبقة النبيلة (وا – أنجـوانه) التي تقطن في شو نجوايا Shungwaya على خط عرض 2 درجة جنوبا[38] وهـذا كلـه يمكن أن يشير إلى أنه قبل سنة 1900 كان مصطلح شيرازي بين السواحليين أنفسـهم لـه دلالـة أخـرى لفظـية، قلمـا توحـي بمعنى عرقي أو جغرافي، وإذا كان هذا كـذلك، فـإن هـذا الإدعـاء القـوي لأولئك الوا – شيرازي لتصنيف أنفسهم على أنهم من أصـول شـرق أوسطية ليس أكثر من ميراث يعود بالأساس إلى العصر الاستعماري[39]. حـيث فضـل العديد من السواحليين أن يثبتوا أنهم ليسوا من أصل أفريقي تجنبا للتفرقة العنصرية الرسمية، ولأسباب سياسية كانت قائمة آنذاك[40].

خاتمة

إن الحضـارة السـواحلية بوصـفها ظاهـرة أفـريقية تقتضـي دراسـتها التأكيد على طبيعـتها المخـتلطة، ومع أنها نشأت ثقافة محلية، ولكن المبادرة في تطورها كانت على الـدوام مـن الخـارج، وكـان التأثير العربي عنصر مبادرة رئيساً في تطورها، لا شك على الإطـلاق إلى يومـنا هـذا في ذلك، لأن نشوء المدن وتوسعها ونمو المؤسسات السياسية والاجتماعية وانتشار الإسلام، كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بنمو التجارة واستيطان العرب في مختلف الأزمنة والأماكن على طول الساحل الشرقي لأفريقيا خلال العصور الوسطى.

وبالـرغم مـن أن العـرب أدوا أدواراً مهمـة في الحـياة السياسية والاقتصادية على السـاحل والجـزر في شـرق أفريقيا، غير أنهم تعرضوا لعملية استيعاب أو أنهم اندمجوا لقلـة أعـدادهم، بمجـتمع السـاحل الذي قوى الإسلام قدرته الاستعابية لكل القادمين من

---

37 - Ibid, p 14

38 - مستشهد به في: W. H. Ingrams , op. cit , p. 129

39 - انظـر: W. F. Mckay., Apne -Colonid History of the Southarn Kenya Coast., boston Unavarsity 1975 , p. 9 – 10

40 - M. Lofchae , Zanzibar – Background to Ravolution , London. 1965 ,p 82

العالم الإسلامي، ولذا فالوصف بـ« عربي » في شرق أفريقيا لا يمثل انقساما عرقيا، وإنما اكتسبت كلمة عربي مفهوما اجتماعيا وثقافيا، كما كانت دلالةً على النسب العريق لتحديد المنزلة المهمة وللبرهنة على قدم ارتباط الطوائف والعوائل بالمجتمع السواحلي.

إن شيرازي الشرق الأفريقي أو اسم الجماعة السواحلية (وا – شيرازي) لفظ يدل ظاهره على المهاجرين من شيراز في إيران، في حين هو في حقيقة الأمر لفظ مرتبط وهماً بالنسب العريق.

إن ندرة الكلمات الفارسية المقتبسة في اللغة السواحلية، والافتقار في النقوش الفارسية على المساجد والقبور على طول الساحل الشرقي الأفريقي يدحض القول بفكرة وجود حقبة لحضارة شيرازية (فارسية)، وبالتالي استيطان فارسي مؤثر في العصور الوسطى على الساحل المذكور.

المصادر و المراجع

1. ابـن بطـوطة: أبـو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت779 هـ). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار، بيروت 1964.
2. العاني: عبد الرحمن عبد الكريم. عمان في العصور الإسلامية الأولى، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية بغداد 1977.
3. ابـن المجـاور: جمـال الـدين يوسـف بـن يعقـوب (ت 690 هـ) تاريخ المستبصر، قسمان: تصحيح وضبط أوسكرلونغرين طبع بريل، ليدن 1951 – 1954.
4. المحـبي: محمد. خلاصة الأثر في أعياد القرن الحادي عشر، ج1، القاهرة 1284 هـ / 1868 م.
5. المسـعودي: أبو حسن علي بن حسين بن علي (ت 346 هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط 4، مطبعة الرجاء، القاهرة 1924.
6. المغـيري: سـعيد بـن علـي، جهيـنة الأخـبار في تـاريخ زنجـبار، تحقيق عبد المنعم الصـاوي، القاهـرة 1979. وبضـمنه حولـية كلـوا المسـماة «السلوة في أخبار كلوا» المؤلف مجهول.
7. ياقـوت: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي (ت 626 هـ). معجم البلدان، لا يبزك 1868.

المصادر الأجنبية

1. Allen. J. de. v., “Swahili Culture reconsidered.,’’Azania. 9
2. the Shirazy Problam in East Afarican Coastel History. , Paideuma, 28, 1982.
3. Burton.R.f,Zanzibar city ,Island and Coast , London.1872.
4. Ceruili.E.,’’Inscrizion e decumenti Arabi Perla Storia della Somalie’’,Somalie ,1,Seratti vari Aditi ed Inediti , Roma 1957
5. Chttick.N., Kilwa: An Islamic Trading City on the East African Coast
6. Nairobi 1974. جزآن
7. kilwa & the Arab Settlements on the East African Coast,

Journal of African history 4 , 1963.
8. Mediaevel Mogadishu. ,Paideuma 28 , 1982.
9. Rabort on excavation at ,Manda., Nyama Akuma 14 , 1979
10. the "Shirezi" Colnization of East Africa , journal of African History 6 , 1965.
11. The peopling of the Orient "., (ed) by N.Chittick and R. Rotbbarg ,New york , 1975.
12. Dames , L , the book of Duart ,Parbosa , London 1949
13. Garlake. P.S, the Early Islamic architecture of East African coast , Nairobi 1966
14. Freman-Grenville. ;G.S.P., and. Martin. P.G; " Apreliminary handlist of Arabic Dscriptions of the Eastern African Coast." Journal of the Royal Asiatic Society , 2 , 1973
15. Hollingsworth. L.W. ,Ashort History of the East Coast of Africa , London 1974.
16. Horton.. M ,Shanga.1980 , Cmpridge 1980.
17. Ingrams. W. H. , Zanzibar , it,s Histoy and ist People , London 1931
18. Krumm.. B. Words of Oriantal in Sualhili London 1940.
19. Lofchae. M , Zanzibar – Background to Ravolution , London. 1965.
20. Mckay. W. F , Apre Colonal History of the Sothern Kenya Coast, Boston Unavarsity 1975.
21. Nurse. D ; and.Spear. T ,the Swahili - Reconstrueting the history and language of an African society , 800-1500 , University of Penns lvania Philadelphia (-)
22. Ogot. B.A. ,East Africa post and prasant , Paris 1965
23. Parce. F.B , Zanzibar the Island Metropolis Of East Africa , London 1920.

24. Powels. R.L , Islam and Islamic Leadership in theCoastal Communities of Eastern Atrica , 1900 – 1914.Los angeles , 1979
25. Posmansky. M. , Perelude to East African History , London , 1966.
26. Prins. A.h.J , the Swahili – speaking poples of Zanzibar and the East African coast ,Londan 1967.
27. Ricks. T. M , " Parsian Gulf Seafaring and East Africa , Ninth to Twelfth Centurias"., African Historical Studies , 2,1970
28. Sheriff. N , " wa – Swahili & their language " Kiswahili , vol 1973.
29. Strandes. J.S. the port uguesa period in East Africa Nairobi. 1960